

مجموعات المشجعين و ثقافة الألتراس: مجموعات الألتراس بتونس

نموذجاً

• أسامة بويحي

• المعهد العالي للرياضة والتربية البدنية بقفصة. تونس Oussama.bouyahya@yahoo.com

تاريخ الارسال : 2018-10-08 تاريخ القبول: 2018-11-15 تاريخ النشر: 2018-05-29

الملخص: تعرف ملاعب كرة القدم العالمية منها والعربية بروز أشكال جديدة من التشجيع تقطع مع النموذج القديم لجمهير كرة القدم مما جعل منها ظاهرة تستحق الدراسة و البحث لفهم و تفسير اسباب بروزها و الدوافع التي تحركها. فمجموعات الألتراس ليست مجرد مشجعين بل هم يعتبرون أنفسهم أصحاب قضية لهم هويتهم الخاصة و عالمهم السحري الذي يختلف عن العالم الذي يريدونهم أن يعيشوا فيه . فدورهم لا يقتصر على مساندة الفريق فقط بل يتجاوز ذلك للاحتجاج السياسي و الاجتماعي يصبح معه العنف وسيلة من جملة الوسائل التي تمكنهم من إسماع صوتهم خاصة في مواجهة التجاهل و القمع و الملاحقة التي يتعرضون إليها من أجهزة الأمن ليظل عالم الألتراس محاطاً بنوع من السرية و الغموض سنحاول من خلال هذا المقال التعرف ما أمكن عليه .

كلمات المفتاحية: ألتراس، هوية، عنف.

Groups of supporters and culture of Alltras: Tunisian Alltras

Abstract: The international and Arab football fields are known for the emergence of new forms of encouragement that intersect with the old model of the football masses, making it a phenomenon worthy of study and research to understand and explain the reasons their emergence and motivation. The groups are not only fans, but consider themselves as having their own identity and their magical world, different from the world in which they wish to live. Their role is not only to support their team, but also to demonstrate their political and social opposition. Especially in the face of scorn, oppression and persecution, which are exposed to them by the security services so that the world of Alltras remains surrounded by a kind of secrecy and ambiguity, we will try through this article to know what is possible.

Key words: Alltras, identity, violence

مقدمة:

يُعتبر ظهور مجموعات المشجعين في تونس حديثاً مقارنة بتلك التي ظهرت في أوروبا، حيث ظهرت أولى هذه المجموعات بتونس سنة 1995 في حين عرفت أوروبا قبل ذلك بسنوات مجموعات عديدة كالهولغايز. على أنه من المهم هنا التمييز بين جمعيات المحبين لفريق مُعين و مجموعات "الألتراس" و الاختلاف يعود إلى العقلية أو العقيدة التي تُبنى عليها هذه الأخيرة.

فالحديث عن جمعية للأحباء يعود إلى فترة الاستعمار الفرنسي حيث تُشير وثائق الأرشيف الوطني التونسي إلى وجود نادي أنصار النجم الرياضي الساحلي منذ سنة 1947 و نادي أنصار النادي الرياضي البزرتي منذ سنة 1950. أما بالنسبة لمجموعات الألتراس فيمكن اعتباره حديثاً نسبياً حيث كان ميلاد مجموعة «African Winners» والخاصة بجماهير النادي الإفريقي سنة 1995 لتتكاثر هذه المجموعات فيما بعد حتى أن بعض الفرق لديها أكثر من مجموعة. أما من حيث المفهوم فإنه من المهم أن نُشير إلى أن مجموعة الألتراس " لا تقوم على انتماء محلي أو مهني إنما تنظم كأنها شبكة وجسم مُوحد للأفراد أو دوائر ضيقة من الأصدقاء يجمعهم الشغف بفريق أو مدينة. فمجموعة "الألترا" وبطريقتها الخاصة تُجسد التطور المعاصر للاجتماعية التي تتجاوز الإطار الضيق للانتماءات وعلاقات العمل.⁽¹⁾ على أنه من المهم أن نُشير إلى أن نقطة الاختلاف الأساسية بين هذا النوع من المجموعات و نوادي الأنصار هو أن الثانية تنتمي تنظيمياً إلى الفرق التي تخضع بدورها لسلطة الدولة وإدارتها، أما مجموعات "الألتراس" فإن أهم المبادئ التي تقوم عليها هي الاستقلالية عن الفرق مادياً ومعنوياً، أي عدم الخضوع لأية سلطة كانت و الولاء للفريق لا لمن يُسيره. ويهدف هذا العمل إلى إبراز خصائص هذه المجموعات بوصفها أحد الأشكال الجديدة للروابط الاجتماعية التي ينخرط فيها الشباب التونسي ويستمد من خلالها هوية خاصة، و ذلك بالاعتماد على نتائج عمل ميداني كفي يقوم على تقنيتي الملاحظة (حضور المباريات) و المقابلة (استجواب بعض أعضاء مجموعات الألتراس) خلال فترتين زمنيّتين متفاوتتين، كانت الأولى قبل أحداث 14 جانفي 2011 والثانية ما بعد جانفي 2011 خاصة و أن هذه الفترة عرفت توقفاً لجميع الأنشطة الرياضية في تونس واضطرابها بعد عودة النشاط و ذلك لأسباب أمنية.

وكمُنطلق لهذا البحث، طرحنا الإشكالية التالية: ما هو شكل الرابط الاجتماعي الذي يحكم علاقة أعضاء مجموعات الألتراس فيما بينهم و يُحدد علاقتهم مع الآخرين؟ وأي هوية يُعبرون عنها و يتبنونها؟ وكيف يُصبح العنف وسيلة للاحتجاج السياسي والاجتماعي؟ وحتى نتمكن من الإجابة عن هذه الإشكالية، قمنا ببناء بحثنا على فرضيتين اثنتين وهما كالتالي:

- إن شعور الشباب التونسي بتخلي جزء مُهم من المجتمع عنه و إقصاءه، يُغذي شعوره بالحاجة إلى الثورة على الأشكال التقليدية للروابط الاجتماعية و يدفعه إلى تبني أشكال جديدة تُمجد ذات جماعية أو ذات موحدة مُغايرة.
- إن الانتماء إلى مجموعات الألترا يعني قبل كل شيء تبني "هوية الألتراس" لتُصبح أسلوب عيش ما يعني عيش الشغف إلى أقصى حد و بشكل مُغاير عن البقية أي أننا نكون عضو "ألتراس" كل يوم و في كل مكان، و يتحول بذلك فضاء الفيراج داخل الملعب فضاء هوياتي تتم من خلاله عملية تنشئة الشبان على مبادئ ثقافة الألتراس و الثورة على سلطتي المال و السياسة، فيُصبح هذا الفضاء مسرحاً لأعمال العنف بين مجموعات الألتراس و قوات الأمن.

أولا / مجموعات الألترا : المميزات والمبادئ:

من خلال نتائج العمل الميداني، يُمكن تلخيص أهم مميزات مجموعات الألتراس على نحو ما يلي:

1- مبادئ المجموعة:

- ومن خلال ملاحظتنا الميدانية و بعض المقابلات مع أعضاء و ناشطين في مجموعات "الألتراس"، تمكنا من تحديد أبرز المبادئ التي تقوم عليها هذه المجموعات و هي كالتالي:
- * الولاء أولا و قبل كل شيء للفريق و للمجموعة، أي أن هذه المجموعات لا تتبع الأندية تنظيمياً بل أنها في أغلب الأحيان في صراع مع المسيرين، فالغيرة على مصلحة الفريق بالنسبة إليهم تتجاوز الأشخاص فهم ذاهبون ولن يبقى إلا النادي.
 - * الاستقلالية المادية و المعنوية عن إدارات الفرق، و تتأتى مصادر تمويلهم من المساعدات التي يُقدمها الأعباء الميسورين و أيضاً من بيع بعض المنتجات الخاصة بالمجموعة كاسطوانات الأغاني التي يقومون بإنتاجها، و الألبسة التي تحمل اسم و شعار المجموعة.
 - * تنظيم صارم شبيه بالتنظيمات العسكرية يخضع للتراتبية (قائد، مُساعدين، أعضاء نشطين) هذا الترتيب خاصة القيادي يكون دائماً سرياً غير مُعلن و ذلك لما تُواجهه مجموعات الألترا من مُتابعة أمنية. كما أن لكل مجموعة مكانها الخاص داخل الملعب يكون عبارة على "فضاء سيادة" و لا يُمكن بأي حال من الأحوال تواجد مجموعة مكان مجموعة أخرى، و تُعرف كل مجموعة بنفسها من خلال اللافتة التي تحمل اسم و شعار المجموعة ما يُعبر عنه ب « Bâche ».⁽²⁾
 - * التحلي بالشجاعة و القوة خاصة عند مواجهة المجموعات المنافسة (من خلال المواجهة وجه لوجه)، ذلك أن الهروب من المواجهة يُعتبر أمراً مُهيناً في ثقافة "الألتراس". و خلال المواجهة المباشرة يسعى

كل طرف إلى إفتكاك وإنتزاع لافطة (Bâche) المجموعة المنافسة ويتم تعليق اللافتة المصادرة بالمقلوب و في ذلك إهانة للمنافس وإبراز للسيطرة والقوة وهذا ما يندرج ضمن الاتصال الصامت أو الرمزي.

* مُساندة الفريق في كل الظروف و في كل مكان، فالمنتعي لمجموعة "أتراس" لا يُمكنه التذمر بُبعد المسافة أو رداءة الطقس أو قلة الإمكانيات المادية والأهم مساندة الفريق حتى وإن كانت النتائج المحققة غير مرضية. فمعدين المشجع الحقيقي يظهر في الظروف الصعبة.

* الدفاع عن روحية كرة القدم و التنديد بسلطة المال و السياسة و تدخلهما في هذه الرياضة، فهذه المجموعات بقدر حمها لكرة القدم تُعارض تدخل المال و السياسة في هذه الرياضة، لأنه في اعتقادهم وقناعاتهم أزمة الرياضة و كرة القدم خاصة سببها التوظيف السياسي و لعبة المصالح المادية التي طغت على الرياضة.

صورة رقم (1)



غرافيتي يحمل رسالة "ضد كرة القدم العصرية" التي يتحكم فيها أصحاب السلطة والمال و تُحدد كذلك المجال المكاني لأحد المجموعات

2- مجموعات الأتراس كجماعة اجتماعية:

يُعرف غوستاف لوبون الجماعة بوصفها «اللفيف من القوم مُطلقاً وإن اختلفوا جنساً وحرقةً، ذكوراً كانوا أو إناثاً، وعلى أي نحو اجتمعوا. أما في علم النفس، فلها معنى آخر، ففي بعض الظروف يتولد في الجمع من الناس صفات تُخالف كثيراً صفات الأفراد المؤلف هو منها، حيث تختفي الذات الشاعرة و تتوجه مشاعر جميع الأفراد نحو صوب واحد، فتتولد من ذلك رُوح عامة وقتية بالضرورة إلا أنها ذات صفات مُميزة واضحة تمام الوُضوح، و حينئذ يصير ذلك الجمع لفيقاً مخصوصاً لم أجد لتسميته كلمة أليق من لفظ الجماعة المنظمة أو الجماعة النفسية، فكأن ذلك اللفيف ذات واحدة، وبذلك يصير خاضعاً لناموس الوحدة الفكرية التي تُخضع الجماعات لحكمه.»⁽³⁾

أما بالنسبة لمجموعات "الألتراس" فإن أبرز ما يُميزها هو تمتعها بهوية جماعية تُوحد جميع الأعضاء على اختلافاتهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية. على أن الهوية تتعلق هنا "بفهم الناس و تصورهم لأنفسهم ولما يعتقدون أنه مُهم في حياتهم. ويُشكل هذا الفهم انطلاقاً من خصائص مُحددة تتخذ مرتبة الأولوية على غيرها من مصادر المعنى والدلالة و من مصادر الهوية هذه: الجنسية، و التوجه الجنسي، و الجنسية، أو المنطلقات الإثنية، والطبقة الاجتماعية"⁽⁴⁾ و من خلال ذلك سيكون الفرد قادراً على الفعل حسب تعريفه الخاص لذاته، و يُمكن له أن يُبنى استراتيجيات سيكون لها مقاصد مُختلفة، فهي تُمكنه من تحصيل اعتراف اجتماعي و أيضاً اعتراف الجماعة أو المجموعة التي ينتمي إليها. و تتميز مجموعات "الألتراس" بتنظيم هيكلي وتراتبى و توحيد من أجل هدف مُعين، ما يُعطيها نفس خصائص المجموعات العسكرية والعمالية يُمكننا بذلك اعتبارها من بين الجماهير المتجانسة التي يكون فيها الفرد في خدمة المجموعة وله مهام مُحددة عليه القيام بها لضمان نجاح المجموعة. فالتجانس الذي يُميز هذه المجموعات يتأتى من كون أن هذه المجموعات تتشكل من أفراد من مختلف الانتماءات الاجتماعية و الثقافية و لكن على الرغم من هذا الاختلاف والتنوع إلا أنها تتميز بتنظيم صارم لكن هذه الصرامة لا يُمكن أن تمنع بعض التجاوزات ذلك أن التحكم في سلوك الجماهير أمر صعب مهما كانت قيمة القادة الذين يلتفون حولهم.

3- الألترا كهوية جماعية:

3-1 مظاهر الهوية:

إن أبرز ما يُميز مجموعات الألترا هي الهوية الجماعية التي تبدو من خلال بعض الصفات مثل "أولاد الفيراج" أو "الألتراس" و التي تتشكل من روابط انتماء و تشابه وتمثلات و قيم مُشتركة، و هذه الروابط تترسخ في ذاكرة مُشتركة و قيم و مشاريع يتقاسمها أفراد المجموعة. فهي نتاج لأفعال مُحددة و تبرز من خلال التناقض الذي تحمله فهي تعني التطابق و في نفس الوقت تسعى إلى الاختلاف. فالمجموعة تحتاج إلى الاعتراف بها ككل مُتجانس و مُتناغم و لكن في نفس الوقت تسعى للتمييز والاختلاف عن غيرها من المجموعات المتنافسة سواء كانت منتمية لنفس الفريق أو لفرق مُنافسة.

فالهوية الجماعية التي يتبناها جزء من جمهور كرة القدم تُشكل مساراً لبناء معنًى يقود إلى التميز، فالتحدث بصيغة الجمع "نحن" هو في حقيقة الأمر سعي و رغبة في التميز عن الجماهير في كليتها، فهذه "نحن" تحمل قيمة وظيفية و مرجعية. و من خلال هذا المنظور يُمكننا أن نُعرف الهوية الجماعية التي يتبناها أعضاء "التراس" على أنها توحيد الانتماءات الفردية حول مبدأ مركزي مُهيمن و نلاحظ ذلك من خلال التسميات التي تُطلق عليهم مثل: أولاد الفيراج، أولاد الجمعية، أولاد العاصمة... فالهوية الجماعية

يسبقها وجود ثقافة و خصوصية يتشاركها الأعضاء ولكن الأهم في كل ذلك وجود فضاء مُشترك يكون عنواناً لهم ويُعرفون من خلاله ويُشعرهم بأنهم مُختلفون عن البقية.

صورة رقم (2)



مسألة الهوية حاضرة دائماً في ذهنية المجموعات رفع شعار " الهوية جمعية إسلامية " في نهائي كأس رئيس الجمهورية سنة 2016

إن التجانس الذي يجمع بين أفراد مجموعات الألترا تلعب فيه التصورات الجماعية المشتركة والحميمية التي تطبع العلاقة التي تربط بين الأفراد دوراً أساسياً، لتنتقل من طور التجمع لمجموعة من الأشخاص غير المعروفين والمنحدرين من بيئات اجتماعية مُتنوعة، إلى جماعة تتمتع بهوية وقواعد مُنظمة " فكرة القدم، وتحديدًا باعتبارها مُحفزاً لهوية جماعية تُصبح أفيوناً للشعب يعني وبعبارة دقيقة "جنة اصطناعية" (5) فالهوية الجماعية تُترجم من خلال الإرادة الجماعية والفعل الجماعي، فهوية مجموعات الألتراس هي هوية نفسية اجتماعية مبنية مخيالياً أولاً و في الواقع ثانياً و في الممارسة ثالثاً و في تمايز مع المجموعات الأخرى رابعاً.

و تترسخ الهوية الجماعية في تاريخ و ذاكرة مُشتركين و تترسخ أيضاً في المشاريع الحاضرة أو المستقبلية وتتجسد من خلال التضامن و القيم المشتركة، فهذه القيم تحمل نظرة جماعية مُوحدة للأشياء و تُعطي معنى لممارسات المجموعات ورغم أنها مُجردة إلا أن لها تأثيراً كبيراً على الواقع و تُساهم في توحيد الأفعال. وبذلك يكون " أهم ما يمتاز به الجماعة وجود رُوح عامة تجعل جميع أفرادها يشعرون ويُفكرون و يعملون بكيفية تُخالف تمام المخالفة الكيفية التي يشعرو ويُفكرو يعمل بها كل واحد منهم على انفراده، و ذلك كيفما كان أولئك الأفراد، و كيفما تباينوا أو اتفقوا في أحوال معيشتهم و في أعمالهم اليومية، و في أخلاقهم و مداركهم، و علة ذلك مُجرد انضمامهم إلى بعضهم و صيرورتهم جماعة واحدة." (6) فالهوية الجماعية تُجسد القدرة على الفعل الملموس في إطار مُوحد

وتنتعش في حالات الوعي بالاهتمامات المشتركة، فهي تتجذر في ذاكرة جماعية يتقاسمها جميع الأفراد وقيم وفضاءات مُشتركة وأيضاً من خلال أفعال وممارسات جماعية.

2-3 عناصر الهوية:

1-2-3 تعدد المجموعات المغلقة:

فمن خلال بحثنا حول مجموعات الألترا في تونس، كانت الملاحظة الأبرز هو تعدد المجموعات المنتمية لفريق واحد وهذا ما يُفسر الصراعات التي تشهدها المدارج والغاية منها إبراز القوة والبروز في صورة المجموعة الأكثر تمثيلية لجماهير الفريق، فالصراعات بين مجموعات الفريق الواحد تتحول في أحياناً عديدة إلى تبادل للعنف ما يعكس الانقسام الذي تعيشه الجماهير لننتقل من وحدة تتمثل في تشجيع ودعم الفرق إلى انقسام سببه الصراع من أجل البروز واستقطاب الأنظار. فمعيش مجموعات "الألتراس" محكوم بمنطقتين إثنين، الأول منطق البروز خاصة مع اهتمام وسائل الإعلام الجماهيري بالرياضة وما يخصها، والثاني الانقسامية التي تطبع العلاقة بين المجموعات المتنافسة ولكن أيضاً مجموعات الفريق الواحد « و يحدث هنا إفراط في إعطاء القيمة للجماعة الداخلية على حساب الإفراط في تبخيس الجماعات الخارجية وتشتد الأواصر ضمن الجماعة المغلقة بقدر حاجتها لتجنب قلق الانفصال. إنها تشتد بقدر الحاجة لإنكار الصراعات والتناقضات الداخلية، و ما يُرافقها بالضرورة من مشاعر عدوانية. ويذهب الدفاع ضد هذه التناقضات حد الذوبان الكلي في الجماعة، لدرجة يفقد معها الفرد استقلاليتها وهويته الذاتية، و لا يعود له من هوية سوى الهوية الجماعية. »⁽⁷⁾

2-2-3 سيطرة النموذج الأنغلوساكسوني:

وهو ما يُظهر التأثير بهذه الثقافة وأيضاً التأثير بالطريقة اللاتينية في التشجيع خاصة مع ما تتميز به الملاعب الأرجنتينية من أجواء كبيرة تُضفيها الجماهير على مباريات كرة القدم، ولعل الاستثناء الوحيد يتمثل في مجموعة "فدائيين" ولكن الاسم يُكتب بحروف غير عربية.

3-2-3 الإحياءات القتالية:

كما نلاحظ أن هذه التسميات تُحيل إلى هوية قبلية ومُقاتلة مثل fithers "المحاربون" أو winners "المتفوقون"، ولكن أيضاً هناك من يحمل اسم لقبيلة جرمانية مُقاتلة ذلك أن إحدى مجموعات الأنصار لفريق "النادي الإفريقي" تحمل تسمية North Vandals⁽⁸⁾ "وندال الشمال"، أو كذلك إحالة إلى مجموعات متمردة مثل Zapatista⁽⁹⁾ نسبة لجيش التحرير الوطني المكسيكي (مجموعة انفصالية) والتي تتخذها إحدى مجموعات "الألتراس" تسمية لها، نفس الشيء لمجموعة "ألترا"

النجم الراضي الساحلي" التي تحمل اسم Brigade Rouge⁽¹⁰⁾ " اللواء الأحمر" و التي تُحيل إلى تنظيم إيطالي من أقصى اليسار اتخذ من العنف وسيلة للتعبير عن مواقفه السياسية. فمن خلال التسميات وأيضاً الشعارات المختارة للتعريف بهذه المجموعات يُمكننا أن نفهم الخلفية التي تُميز مجموعات "الألتراس" عن باقي مجموعات المشجعين، فمثلاً ذكرنا فإن أهم المبادئ التي تقوم عليها ثقافة "الألتراس" هي الدفاع باستماتة على مصالح الفريق بقطع النظر عن الأسماء والأشخاص.

4 مُعاداة الأمن:

كما أن العلاقة بين هذه المجموعات والسلطة المتمثلة في قوات الأمن هي علاقة تتميز بالتوتر والعداء غالباً ما تتحول إلى مواجهات عنيفة بين الطرفين، ذلك أن الاستقلالية والحرية داخل الملعب من أهم المطالب والشعارات التي يرفعها جمهور "الألتراس". فالروح الثورية التي تُحرك مجموعات "الألترا" التونسية تتجسد من خلال التسميات و الشعارات، و الثورة التي كانوا يُنادون بها طيلة فترة حكم الحزب الحاكم هي ثورة ضد التوظيف السياسي الذي تعرفه رياضة كرة القدم في تونس واستغلالها من طرف السلطة السياسية التي تُعين رؤساء الجمعيات الذين يكونون بالأساس من مُناصري الحزب الحاكم أو ناشطين في صلبه لتكون الأندية مُسخرة لخدمة حزب سياسي و بوقاً دعائياً ووسيلة للتعبيئة الجماهيرية عند كل استحقاق انتخابي كان يجري في "تونس". كما أن هذه الثورة التي تُنادي بها مجموعات "الألتراس" التونسية هي على الفساد المالي وتحول كرة القدم إلى نشاط اقتصادي وابتعادها عن روح وجوهر الرياضة.

صورة رقم (3)



غرافيتي في أحد شوارع العاصمة تونس يُجسد العلاقة المتأزمة ما بين الألتراس والأمن و فيها رجل امن يسقط على الأرض أمام عضو مجموعة ألتراس

ثانيا / "الفيراج" أو الفضاء الحيوي لمجموعات الألتراس:

لا يمكننا الحديث عن هوية سواء كانت شخصية أو جماعية إلا من خلال الحاضر المعيش وضمن فضاء مُحدد، فالتنظيم و الفضاء المشترك يُولد لدى الأفراد الشعور بالانتماء و حمل هوية جماعية ذلك أن المكان يُعزز هذا الشعور بالانتماء كما هو الحال لدى أعضاء "الألتراس" في علاقتهم مع مدارج "الفيراج". و من خلال كلمات الأغاني التي يُرددونها أعضاء مجموعات الألترا، نلاحظ تبني هوية جماعية مرجعيتها المكان، وهذه الهوية لها هدف مُحدد و مُحد للجميع و هو المساندة المطلقة للفريق مهما كانت التكاليف و إن أدى ذلك إلى المواجهة العنيفة. فالفعل يستمد قيمته من خلال تفاعله في الزمان (زمن مباراة كرة القدم) والمكان (ملعب كرة القدم). و من هنا يكون "فهم الكيفية التي تتوزع فيها الأنشطة، زماناً و مكاناً، من الأمور الجوهرية لتحليل اللقاءات و لاستيعاب الحياة الاجتماعية بصورة عامة (...) و عندما نقوم بتحليل السياقات التي يجري فيها التفاعل الاجتماعي، فإن من المفيد أن ننظر إلى حركات الناس و أنشطتهم، و أن ندرك كيف يلتقي الزمان بالمكان في منظومة التفاعلات البشرية." (11)

1 تقسيم الفيراج (12):

إن اختيار مجموعات الألترا للمكان الذي يحتلونه في الملعب و الذي يتواجد خلف مرمى الفريق، يُعطي الدلالة على الوقوف خلف الفريق لإسناد ظهره و دفعه إلى الأمام، فالمدرجات الواقعة خلف المرمى هي المكان المفضل لهذه المجموعات ومنها تستمد هويتها فبالنسبة لجماهير النادي الإفريقي تُعرف باسم « Curva Nord » (13) في حين جماهير الترجي الرياضي التونسي تُعرف باسم « Curva Sud » (14) وهذه التسميات متأتية من المكان الذي تحتله جماهير كلا الفريقين داخل الملعب، فجماهير "الترجي الرياضي التونسي" تتواجد في المدرجات الجنوبية في حين تحتل جماهير "النادي الإفريقي" المدرجات الشمالية. فهذا الجزء من الملعب تحول إلى هوية و له رمزية كبيرة عند جماهير كرة القدم، فالجلوس في تلك المدرجات (مع أنها لا تُتيح للمشجع رؤية جيدة للميدان) تعني الوفاء و التضحية من أجل الفريق. فمجموعات الألترا أخذت على عاتقها المساهمة في العرض الرياضي المقدم و عدم الاكتفاء بمجرد المشاهدة. فالرغبة في لعب دور ما في حياة الفريق و الرغبة في البروز والظهور بما أننا أصبحنا نعيش في عالم تحكمه الصورة، جعل من مدرجات الملاعب عنواناً للفرجة والنشاط.

2 الدخلة:

كما ذكرنا فيما سبق، انتقلت الفرجة من أرضية الملعب إلى المدرجات حتى أنه ليس من المبالغة القول بأن الكثير من الجماهير تأتي إلى الملعب لمشاهدة العرض الذي تُقدمه جماهير الفريقين قبل كل

مقابلة وذلك من خلال ما يُسمى بالدخلة والتي هي عبارة عن كرنفال استعراضي صغير يسبق المباريات الكبرى "فكل قطاع في الملعب وكل فراغ حتى يُمثل نوعاً من الأقليم الذي يترسخ فيه الوعي بالانتماء الذي يُعبر عن نفسه بل يذوب في حالة الغليان الجماعي".⁽¹⁵⁾ فيتنافس كل طرف من أجل تقديم عرض أجمل وأضخم من المنافس، مُضحين من أجل ذلك بالمال والوقت والجهد فكل شيء يهون من أجل "الجمعية" وإعلاء اسم الفريق. فلا يعرف الإبداع -من خلال الدخلة- حدود، فكل شيء مُباح من أجل الحط من معنويات الجماهير المنافسة وإظهارها في صورة سلبية، وتلعب الرموز دوراً مُهمّاً في ذلك فمعنى الاحتفال يترافق هنا هو معنى التضحية والمشاركة في صنع الفوز لكن هذا لا يعني أن الفوز هو هدف بحد ذاته للجماهير فالمهم اللعب الجيد والاستمتاع. كما أن إشعال الشماريخ والتي تعني النار يبحثون من خلال ذلك إلى لفت الأنظار إليهم فالنار في رمزيها تعني الشهرة والبروز ألم يقل العرب قديماً "علم على رأسه نار" ويري "ميد": أن البشر يعتمدون على رموز و تفاهات ومواضعات مُشتركة في تفاعلهم بعضهم مع بعض. ولأن البشر يعيشون في عالم زاخر بالرموز، فإن جميع عمليات التفاعل بين الأفراد تشتمل على تبادل الرموز⁽¹⁶⁾. فالدخلة عبارة على تفاعل بين طرفين تحتل فيه الرموز دوراً كبيراً، ما يخلق ديناميكية تستوجب عملية فهم مع تأويل (من مبادئ السوسيولوجية الفيبرية التفهيمية) حيث يعتبر "ماكس فيبر" أن مهمة علم الاجتماع تكمن في فهم الظواهر الاجتماعية انطلاقاً من فهم وتأويل أفعال الأفراد وإعادة بناء واستخراج المدلولات والمعاني التي يقصدها الفاعلون الاجتماعيون من خلال ممارساتهم، وأن يُنظر إلى السلوكيات الاجتماعية على أساس أنها مُوجهة إلى الآخرين و مُولدة للتفاعل الاجتماعي. وهو نفس ما يذهب إليه "ألفرد شوتز" الذي يرى في الواقع الاجتماعي واقعاً ثقافياً ومُشترك لأنه مبني على التفاعل بين الأفراد وثقافي لأنه مُتكون من مدلولات ومعاني تراكمت على مر الأجيال.

ومن خلال ذلك يُمكننا القول بأن "الدخلة" هي عبارة عن مُمارسة يتبعها الفاعلون الاجتماعيون (مجموعات الأتراس في حالتنا) من أجل التفاعل والتواصل فيما بينهم، ولعل أبرز الأهداف التي يرمون إليها من خلال هذه الاستراتيجيات هي الظهور وتحويل الأنظار والاهتمام من أرضية الميدان إلى المدرجات أين يتواجدون والحصول على نوع من الاعتراف الاجتماعي الذي لا يتمتع به مُعظمهم في حياتهم الاجتماعية.

صورة رقم (4)



نموذج لأحدى الدخلات تُبرز الجهد والإبداع الذي يُميز مجموعات الألتراس في أحد الدريبات التي تجمع قطبي العاصمة التونسية النادي الإفريقي والترجي التونسي

3 الفيراج كفضاء للفعل الاجتماعي:

إن عضو الألترا هو بالأساس شاب مُتعلّم و صاحب شهادة و عاطل عن العمل فهو يبحث عن معنى لوجوده في ظل انعدام الآفاق في حياته الواقعية فيجد في نشاطه ضمن مجموعات الألترا ضالته و يُصبح فاعلاً وقادراً على الخلق والإبداع. فنشاطهم في الملعب هو عبارة عن حياة اجتماعية أخرى مُوازية لتلك التي يعيشونها فعلياً، فالملاعب كفضاء يُمكن الجمهور من الفُرجة و في نفس الوقت يجعل منهم محط الأنظار خاصة مع ما تعرفه المجتمعات الحديثة من ثورة اتصالية جعلت الجميع يطمحون و يحلمون بالظهور، و الظهور ليس بمعنى الشهرة و النجومية ولكن بالأساس لتبليغ رسالة و لفت الأنظار لما يقومون به عليهم يحزنون اعترافاً اجتماعياً فقدوه في ظل وجود قيود و ضغوطات تُكبلهم فلا يجدون من وسيلة لإيصال صوتهم و من خلالهم كل الشباب في هذه البلاد إلا ملعب كرة القدم. و حتى يكون الفضاء مُعبّراً عن هوية خاصة، تجد مجموعات الجماهير حريصة على تواجد اللافتات التي تحمل اسمها وشعارها كنوع من تحديد المكان، حتى أنه عندما تم منع المجموعات من تعليق لافتاتهم من طرف السلطات الأمنية (كنوع من العقاب) أصبحت العلاقة بين أفراد هذه المجموعات و قوات الأمن أكثر توتراً من ذي قبل لأنهم يرون في هذا القرار نوع من التعدي على شيء رمزي يحمل معاني عديدة بالنسبة إليهم، فهذه اللافتات تُساهم في الإشارة إليهم وإبرازهم فهي تتجاوز كونها قطعة من القماش أو غيرها من المواد الأخرى كُتبت عليها أسماء بل أنها حاملة لهوية و رمز للانتماء "فالرموز هي أدوات "التضامن الاجتماعي" بلا مُنازع: ومن حيث هي أدوات معرفة وتواصل، فهي تُخول الإجماع بصدد معنى العالم الاجتماعي، ذلك الإجماع

الذي يُساهم أساساً في إعادة إنتاج النظام الاجتماعي، فالتضامن "المنطقي" شرط للتضامن "الأخلاقي" (17)

وتسعى مجموعات "الألتراس" إلى تحديد فضاءاتها الخاصة داخل الملعب تماماً كما تفعل القبائل من خلال احتلالها لجزء من الأرض والعيش فيه، فجماهير كرة القدم تُشبه في جوانب عديدة البنية القبلية.

4 الفيراج كفضاء للانتماء

إن الشعور بالانتماء إلى مكان أو إلى جماعة يُمثل مطلباً اجتماعياً أساسياً لكل فرد خاصة في مجتمعات تضعف فيها الروابط الاجتماعية. فداخل هذه المجموعات يجد الفرد ما كان ينقصه في حياته الاجتماعية من تضامن وتآزر وُمساندة و أيضاً مشاركة لكل ما يُمكن أن يمر به على المستوى العاطفي (كالحزن و الفرح) بل أن الانتماء إلى مجموعات الأنصار يُضفي على حياة الفرد معنى، لأن الجمهور " أياً تكن نوعية الأفراد الذين يشكّلونه، و أياً يكن نمط حياتهم متشابهاً أو مختلفاً و كذلك إهتماماتهم ومزاجهم أو ذكاؤهم، فإنّ مجرد تحويلهم إلى جمهور يزوّدهم بنوع من الروح الجماعية. وهذه الروح تجعلهم يحسّون ويفكّرون ويتحرّكون بطريقة مختلفة تماماً عن الطريقة التي كان سيحسّ بها ويفكّر ويتحرّك كلّ فرد منهم لو كان معزولاً⁽¹⁸⁾". فمُجمل الأفراد المشكلين لهذه الجماهير و هذه المجموعات على وجه الخصوص تجمعهم بالأساس صفة المجهولية (l'anonymat) أي أن هوياتهم الحقيقية تتخفى خلف هويتهم المشتركة في سعي حثيث لتحقيق نوع من الاعتراف الاجتماعي فيكون ملعب كرة القدم الفضاء الأمثل لتحقيق هذه الغاية نظراً لأن كل الأنظار تكون مُوجّهة إليه بشكل كبير عبر مُتابعة وسائل الإعلام الجماهيري و كل شيء يدور داخل الملعب يكون مادة إعلامية مُميّزة، لذلك ترى كل مجموعة في تنافس اللبروز بشكل أفضل من المجموعات الأخرى ليتحول الملعب إلى كرنفال احتفالي.

فيتحول الفضاء إلى عنوان لهوية و حامل لرمزية ألا وهي مكاناً للقاء ومكاناً للاحتفال على طريقتهم الخاصة ومكان يتجسد فيه و همهم الذي جاءوا من أجله و كل ما يُنغص عليهم هذا الإحساس يُجابه بشكل عنيف ذلك " إن الوهم الاجتماعي يُسيطر اليوم على كل أنقاض الماضي المتراكمة، والمستقبل له بدون شك. فالجماهير لم تكن في حياتها أبداً ظمأى للحقيقة. وأمام الحقائق التي تُزعجهم فإنهم يُحولون أنظارهم باتجاه آخر، ويُفضلون الخطأ، إذا ما جذبهم الخطأ. فمن يعرف إهمامهم يُصبح سيداً لهم، و من يُحاول قشع الأوهام عن أعينهم يُصبح ضحية لهم" (19) و هذه المنغصات التي لا

تتقبلها الجماهير يُمكن أن تكون هزيمة الفريق أو المردود السيئ للاعبين أو حكم مُنحاز أو قوات أمنية يكون حضورها مُستفزاً في المدرجات. فما يراه الآخرون نوعاً من الاستفزاز كإشعال الشماريخ في المدرج لا يعدو أن يكون تعبير عن أجواء احتفالية يُريدون إضفاءها على هذا الجزء من الملعب والذي يُمثل بالنسبة إليهم أكثر من مُجرد مكان يجلسون فيه، فهذا المعنى للاحتفال حاضراً في أغاني الجماهير الرياضية التي ترى في الملعب أفضل فضاء لذلك . و يُمكننا أن نتبين هذه المعاني من خلال كلمات الأغنية التالية:

يا العاصمة أولادك anti هدره

ليوما نديرو القارحة و نديرو الشيخة

هكة أحنا تربينا

ن supporter الإفريقي اللي تزهينا

قالوا...عقلية أولاد صغار

ياخي شافوا اللي صار...ما فمهموا

والو ملي هدروا

Solidaires كي ن déclarer La guerre

لل curva أحنا fidèles

ما نخافوا معلّى بالنّا بسي فلان

و من خلال هذه الكلمات نلاحظ تبني هوية جماعية مرجعيتها المكان، و هذه الهوية لها هدف مُحدد و مُوحد للجميع و هو المساندة المطلقة للفري مهما كانت التكاليف و إن أدى ذلك إلى المواجهة العنيفة. فالفعل يستمد قيمته من خلال تفاعله في الزمان (زمن مباراة كرة القدم) والمكان (ملعب كرة القدم).

صورة رقم (5)



إشعال الشماريخ كنوع من الإحتفال و أيضاً إعلان وجود و لفت للأنظار

ولذلك فإن المس بأي شيء يمت لهذا العالم الرمزي بصلة هو مس بجوهر و روح هذه المجموعات، فكما قلنا سابقاً فإن حركات "الألتراس" هي عبارة عن ثقافة قائمة الذات، و كل مس برموز أي ثقافة كانت سيُجابه بشراسة و تكون ردة الفعل عنيفة لأننا في هذه الحالة سنكون إزاء مقاومة و تصدي لتهديد يستهدف البقاء. و من هنا يمكننا فهم ردة الفعل إزاء منع السلطات الرياضية و الأمنية مجموعات "الألتراس" من وضع لافتاتهم على المدارج التي يحتلونها، إضافة إلى منعهم من القيام بالدخلة قبل المباريات حيث ارتفع مستوى العنف في الملاعب عما كان عليه سابقاً.

ثالثاً / العنف كوسيلة للاحتجاج و تحقيق الاعتراف:

إن المتأمل البسيط لتواتر الأحداث الرياضية يُلاحظ بوضوح تزايد وتيرة العنف في الملاعب في تونس رغم التغير السياسي الكبير الذي حصل في البلاد في السنوات الأخيرة و تزايد فرص التمتع بالحريات لدى الشباب و بهذا الشكل الجديد للاجتماعية و التي لها مرجعية رياضية، يسعى اعضاء مجموعات الألترا الى تحصيل اعتراف اجتماعي. فالشعور بالإقصاء و الروح الثورية التي تحرك هؤلاء الشبان و تمردهم على مجتمع يشعرون فيه بالتمييز و اللامبالاة يؤدي في اغلب الاحيان الى مواجهات عنيفة تُهدد السلم الاجتماعي.

1- العنف كوسيلة لتحقيق الذات الجماعية

إن اللجوء الى العنف في العديد من الحالات يكون بمثابة استراتيجية يتبناها هؤلاء الشباب لتمير رسائل قوية. فالعنف حسب ما يعتقدونه هو افضل طريقة لاطهار مدى تعلقهم وعشقهم لفرقهم وأيضاً نتيجة انعدام الحوار والتفاهم ما بينهم وبين السلطة وعامة مكونات المجتمع، فيكون اللجوء الى العنف وسيلة لاطهار القوة وعدم الخشية والخوف من القمع البوليسي الذي يتعرضون إليه «*فالعنف هو السلاح الاخير لاعادة شيء من الاعتبار الى الذات من خلال التصدي مباشرة، أو مداورة للعوامل التي يعتبرها مسؤولة عن ذلك التأخير الوجودي الذي حل به. العنف هو لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع ومع الآخرين، حين يحس المرء بالعجز عن ايصال صوته بوسائل الحوار العادي، و حين ترسخ القناعة لديه بالفشل في اقناعهم بالاعتراف بكيانه وقيمته*» (20). فعوض ان ينتظروا تدخل قوات حفظ النظام اصبحوا هم من يقوم بالاستفزاز والدخول في مواجهات معهم طيلة زمن المباراة. فمن خلال العنف يبحث هؤلاء الشباب عن الاحاسيس القوية والمثيرة التي يفتقدونها في حياتهم اليومية، فالعنف بالنسبة اليهم هو اختبار للرجولة والشجاعة والدود عن الوان الفريق وهي قيم اساسية لعقلية وثقافة الالتر.

2- العنف لتحقيق الهوية:

من خلال كلمات الأغاني الخاصة بهذه المجموعات يمكننا ملاحظة ان مفردات مثل "الحرب"، "الثورة"، "الفوضى" و ايضاً "الاحتفال" هي الاكثر تواتراً، فهي عبارة عن رسائل عنيفة موجهة للجميع: منافسين، سلطة، صحافة، نظام... فاعتبار مجموعات الالتر كشكل جديد من القبلية والتي تتميز بالشعور بالانتماء الى فضاء و الى مجموعة، يساعدنا في فهم هذا الصراع في ما يتعلق بالهوية. فالانتماء الى فضاء أي كان: مدينة، حي، جزء من الملعب... يكون اقوى و أمتن من الانتماء الى الفضاء الأشمل أي الوطن، فتصبح إزاء علاقة من نوع خاص: المحلي مقابل الكلي " فالديناميكيات النفسية للحشود التي تتركز في فضاء صغير تزيد من احتمال انتقال عدوى المشاعر كالخوف والاحباط والغضب و التي هي اساس السلوك العنيف." (21)

3- المستويات الثلاثة للعنف:

من خلال ملاحظتنا أمكن لنا تحديد ثلاثة مستويات للعنف الذي يشهده ميدان الرياضة في تونس، فالعنف هنا يخضع لمبدأ و منطق انقسامي شبيه بذلك الذي تعرفه القبيلة و المتجسد في ذلك المثل العربي الشهير "أنا ضد أخي، أنا و أخي ضد ابن عمي، أنا و أخي و ابن عمي ضد الغريب" (22) و بهذا تكون مستويات العنف الرياضي على هذا الشكل:

أ- مجموعات الأتراس ضد السلطة (قوات حفظ النظام) :

في هذا المستوى كل المجموعات باختلاف انتماءاتها وتوجهاتها تواجه السلطة من خلال مواجهة قوات الأمن، و من خلال هذه المواجهات العنيفة ينددون بالفساد والقمع. و في هذا المستوى أيضا يقتصر العنف عادة على حدود الملعب لكن يمكن حدوث بعض التجاوزات من وقت الى آخر ليشهد الفضاء الخارجي للملعب اعمال عنف بين الطرفين.

فالعنف هنا يكون وسيلة للتعبير عن موقف و للاحتجاج نتيجة لعدم التواصل ما بين هذه المجموعات والسلطة، فهم يرون في ذلك تجاهل واستهزاء بالشئ الذي يعتقدون به و يعيشون من اجله، و بالتالي فالسلطة غير قادرة على فهمهم و فهم العقلية التي تحركهم. فيكون الاحساس بالإقصاء و التهميش مُغذياً لهذا العنف وهو ما يعبر عنه احد الشبان⁽²³⁾ بالقول " في تونس لا يوجد الا الفقر و البؤس والاستبداد و القمع، لا يوجد امامنا نحن الشباب آفاق للمستقبل، فحتى الحلم لم يعد متاحاً لنا فلم يتبق امامنا الا كرة القدم فهي لا تكلف الكثير و لكن تساعدنا على نسيان الواقع المزري الذي نعيشه. نحن نريد الاحتفال في الملعب و لكن قوات حفظ النظام تريد الحرب. القمع لم يتراجع بل زاد عن السابق و بالتالي اصبحنا اكثر فاكثراً ضد الشرطة و ضد النظام، ففي الحرب بيننا لان كرة القدم غرامنا و عشقنا و الفيراج عالمنا الخاص و لن نقبل باحتلاله. فبمجرد وصولنا للملعب تسعى قوات الأمن لاستفزازنا من خلال عمليات تفتيش مهينة مرفوقة بشتائم تمس من الشرف، اضافة إلى حالة الملاعب المزرية و ظلم الحكام الذين يسرقون عرق اللاعبين وتضحية الجماهير بقرارات جائرة منحازة للخصم. و لكي ننسى ذلك نحاول الاحتفال من خلال اشعال الشماريخ و يكون هنا دورنا في استفزاز قوات الأمن و حملها على مواجهتنا، فالحرب تثيرنا و تزهينا."

ب- مجموعات التراس ضد مجموعات التراس منافسة:

و تكون فيه المواجهة بين مجموعات التراس متنافسة، كل يدافع على مصالح فريقه و مجموعته ومدينته وأيضاً حيه، و يكون هنا الشعور بالانتماء هو المحرك و القائد لهذه المواجهات. و في هذا المستوى يكون العنف في الملاعب و لكن أيضاً خارجها، فالذهاب الى مناطق نفوذ المجموعة المنافسة ومواجهتها في ارضها يعتبر من الافعال الشجاعة و طريقة مثلى لاثبات القوة. ففي هذه المواجهات بين المجموعات المتنافسة الكل يبحث عن اذلال و تحقير الطرف المقابل اقصى ما يمكن من خلال افتكاك اللافتة الخاصة به ما يعبر عنه ب "الباش bâche و عرضه بطريقة معكوسة (رأس على عقب) و بالتالي فان اي مجموعة تفقد رمز هويتها المتمثل في "الباش" تجد نفسها مجبرة على حل نفسها بنفسها لانها فقدت شرفها امام باقي المجموعات فيكون هنا العنف وسيلة لمجموعات الأتراس.

و ترى مجموعات الألتراس في مواجهتها العنيفة دليل على الدفاع عن مصالح الفريق فدورهم لا يقتصر على الفرجة فقط ولكن كما يقول احدهم « نحن مستعدون للموت من أجل ألوان الجمعية (الفريق) فنحن أكثر من مجرد مشجعين، نحن بمثابة الجنود. فالمسيرون يبحثون فقط عن مصالحهم الشخصية والشهرة والنجومية والنادي بالنسبة إليهم ليس الا وسيلة للوصول إلى أهدافهم. فنحن لا يجب أن نترك النادي بمفرده، ولأجل ذلك اخترنا مدارج المنعرجات (الفيراج) التي تتواجد خلف المرمى فنحن نريد من خلال ذلك ان نقول أننا خلف الفريق في السراء والضراء نسند ظهره في كل زمان و مكان فهي رسالة رمزية لتحفيز اللاعبين وجعلهم شاعرين بقيمة الألوان⁽²⁴⁾.

ج- مجموعات التراس ضد مجموعات التراس من نفس الفريق

قد يبدو الامر غريبا و غير منطقي ان تتواجه مجموعات التراس تدين بالولاء لنفس الفريق قد يصل فيها الامر الى كره و فر داخل احياء المدن. فالامر هنا لا يمكن تفسيره الا بالتنافس الشديد بين هذه المجموعات و سعيها الى الهيمنة و البروز على حساب المجموعات الاخرى، فمن يكون في موقف قوة يكون حسب رأيهم هو الأقدر على تمثيل الفريق و الدفاع عنه كل ما استدعى الامر ذلك فتصدر الافعال العنيفة "عن الجماعة غالباً بسبب تحريض قوي و يعتقد الذين ارتكبوها انهم قاموا بواجب كان مفروضاً عليهم⁽²⁵⁾". فالعنف هنا وسيلة للبروز و الاعلان عن الوجود و خير اداة للفت انتباه الجميع سواء كانوا صحافة، سلطة، جماهير... وجعلهم يتحدثون عنهم و محاولة فهم العقلية التي يعيشون بها و يعيشون من اجلها. فانعدام الحوار بين هؤلاء الشباب و ما يسمونه هم العالم يدفعهم الى لفت الانتباه بأي طريقة.

الخاتمة :

يُمكننا القول أن عالم "الألتراس" هو عالم خاص يندرج في إطار ثقافة خاصة تُحاول أن تبرز وتجسد لنفسها مشروعية في الوجود والظهور ، وهذه الثقافة تتكون من مجموعة رموز يتمكن بواسطتها أعضاء مجموعات "الألتراس" من التفاعل فيما بينهم وتمنحهم خصائص تُميزهم عن باقي الجماهير، فلهذه المجموعات أسمائها الخاصة ما يعني تمتعها بهوية تُحاول من خلالها الخروج من إطار المشجع العادي الذي يكتفي بالفرجة بل أنها ترغب في الفعل والارتقاء إلى مرتبة الفاعل الرياضي مثلها مثل اللاعب والمسير. كما أن ثقافة "الألتراس" تعني أن لهذه المجموعات عاداتها وأسلوبها داخل الملعب وخارجها ولها تنظيمها وقادتها وأيضاً قوانينها فباختصار شديد لها عالمها وثقافتها الخاصة.

ولعل أبرز ما يُمكن أن نلاحظه أن المعاناة هي الطاغية سواء من حيث الظروف التي ينشطون في ظلها أو في انعدام التواصل بينهم وبين السلطة ذلك أن التصورات لكلا الطرفين تختلف عن بعضها من ذلك أن مباراة كرة القدم للجماهير هي عبارة عن احتفال و مناسبة للترويح عن النفس بعيداً عن تدخل

قوات حفظ النظام على اعتبار أن مدرجات الملعب هي فضاء مستقل وخاص بال جماهير، في حين أن السلطة تنظر لمباراة كرة القدم على أنها منافسة رياضية خاضعة لقواعد تنظيمية صارمة لا يمكن الحياد عنها حتى وإن تطلب الأمر استخدام وسائل ترى فيها مجموعات "الألتراس" قمعاً واضطهاداً لها ومُحاربة لوجودها. والأهم في كل هذا أن المعاناة التي تعيشها مجموعات "الألتراس" لا تدفعهم للتذمر ولكن تتحول عندهم إلى خاصية تميزهم عن باقي المشجعين، فكما رأينا سابقاً فإن التضحية بالوقت والجهد والمال هي من المبادئ التي تقوم عليها عقلية "الألتراس". فهذه المعاناة تبدأ مع رحلة البحث عن تذاكر المباريات لتتواصل خلال التحضير "للدخلة" التي يمكن أن تبلغ تكلفتها المادية آلاف الدينارات وتطلب جهداً بشرياً كبيراً ورغم ذلك يسعى الجميع إلى إخراجها في أحلى صورة لأن نجاح "الدخلة" هو نجاح لكل جماهير الفريق فهي تندرج في إطار التنافس بين مجموعات "الألتراس".

فإن تكون عضو في مجموعة "ألتراس" يعني تمتعك بجملة من المواصفات كالتضحية والشجاعة والاستماتة في الدفاع عن مصالح الفريق والحفاظ على شرف المجموعة. وبذلك يسعى الفاعلون إلى بناء وضعية جماعية بصفة مستمرة عبر التفاعلات فيما بينهم عبر استراتيجيات معينة وتبني قيم مشتركة تكون بمثابة عقد اجتماعي أو ميثاق شرف يمثل إليه جميع الأعضاء.

فعدم فهم هذه الأشياء وإدراك خصوصية هذه المجموعات جعل التعامل معهم مقتصرًا على المقاربة الأمنية والتي زادت من اتساع الهوة بين هذه المجموعات والقائمين على رياضة كرة القدم في تونس والرياضة بشكل عام. الأمر الذي وضع أفراد مجموعات "الألتراس" في مواجهة دائمة مع قوات حفظ النظام داخل الملاعب، بل أن الاشتباك معها أصبح أمرًا مألوفًا في الملاعب بل وفي بعض الأحيان يتحول إلى هدف في حد ذاته. إن غاية مجموعات "الألتراس" هو تشجيع الفريق والاحتفال في الملعب، فهو ليس بمجرم ولا منحرف ولكنه شخص مُولع بالرياضة وبفريقه يُضحي من أجله، كما أنه لا يسعى إلى ضرب بقية المجموعات فما بينهم هو تنافس محكوم بقواعد وميثاق شرف تلتزم به كل المجموعات ومن تحيد عنه تتعرض لاحتقار بقية المجموعات وبالتالي إقصاءها. فمعيشة عضو الألتراس هو معيش الشاب المتعلم والعاطل عن العمل الذي يبحث عن علاقات اجتماعية وهوية من خلال انخراطه في هذه المجموعات، كما أنه يُعبر عن احتجاجه لما يعيشه في الواقع من خلال رياضة كرة القدم.

ف"الألتراس" كعقلية هي أيضًا أسلوب عيش، حتى أن بعضهم يرتدي الأزياء الخاصة بالمجموعات (قبعات، سترات...) في الأيام العادية، فأن تكون عضوًا في مجموعة "الألترا" هو بمثابة الالتزام لا فقط خلال المباريات ولكن أيضًا في سائر الأيام الأخرى، لتبرز كرة القدم كمعيش يومي لفئة من المجتمع التونسي (غالبيتهم من الشباب) وليكون الانخراط في العمل ضمن مجموعات "الألتراس" كنوع من الحياة

الموازاة للحياة الاجتماعية الفعلية. فالعديد من الشبان يجدون في هذه المجموعات الشعور بالانتماء و التعبير الحرو هو ما يفتقده في حياته الواقعية.

فالتاريخ البشري يُقدم لنا الأمثلة على لعب الإرادات الجماعية دور المحرك في عمليات التغيير الاجتماعي والمتمثلة في الثورات، فنحن هنا إزاء فاعلين اجتماعيين قادرين على تغيير مجرى التاريخ في مجتمع مُعين. ولقد عرفت المجتمعات الحديثة هذه النزعة نحو الاجتماع و التنظيم رغم ما يُميز هذه المجتمعات من كثافة اجتماعية (من حيث شبكة العلاقات الاجتماعية) مقابل جنوح نحو الفردانية بقيمها، ولقد أطلق "M.Maffesoli" على ذلك تسمية "القبلية الحديثة" ⁽²⁶⁾.

و إذا ما أخذنا هذا في الاعتبار يُمكننا حينئذ فهم الرابطة القوية التي تشد أفراد مجموعات الأنصار، فهي تُضاهي في متانتها قرابة الدم، يُوحدهم هدف بعينه دعم الفريق و التضحية من أجله. فيتشاركون بذلك الأحلام والعواطف والأحاسيس و يسعون بكل قوة إلى التوحد والانصهار وكأنهم يبحثون عن شيء فقدوه في حياتهم الاجتماعية.

الاحالات والهوامش:

1. Christian Bromberger, *Le Match De Football : Ethnologie d'une passion partisane à Marseille, Naples et Turin*, Editions de la maison des sciences de l'homme, Paris, 1995, p 248.
2. وهي اللافتة التي تحمل اسم و شعار مجموعة 'الأترا' و هي تُمثل شرف كل مجموعة و عادة ما تلجأ المجموعات المتنافسة لسرقة اللافتات و عرضها بصورة معكوسة كنوع من الحط من قيمة بعضها البعض . و تُسمى عملية تعليق اللافتات على المدارج بال *bachage*.
3. غوستاف لوبون، روح الاجتماع، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة، 2013، ص 25.
4. أنتوني غدنز، علم الاجتماع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص 90.
5. Brohm Jean-Marie, *Les Meutes Sportives*, L'Harmattan, Paris, 1993, p36.
6. غوستاف لوبون، روح الإجماع، مصدر سابق، ص 28.
7. مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005، ص 113.
8. الفندال أو الوندال هم إحدى القبائل الجرمانية الشرقية من أصل اسكندنافي أسسوا دولة في شمال افريقيا مركزها قرطاج، عُرِفوا ببأسهم وشدتهم و تخريبهم من ذلك اقتحامهم مدينة روما التي عاشوا فيها فساداً و تخريباً.
9. ¹ مجموعة انفصالية مكسيكية تسميتها مشتقة من اسم الثائر Emiliano Zapata الذي قاد ثورة الفلاحين سنة 1910 رغم انه كان من أصحاب الأراضي، وفي 17 نوفمبر 1983 تم الإعلان عن تأسيس جيش التحرير الوطني المكسيكي الذي اتخذ الكفاح المسلح منهجا بعد فشل العمل السلمي.
10. تسمية تعود لمجموعة ايطالية من أقصى اليسار برزت على الساحة السياسية في السبعينات من القرن العشرين مُتخذة من العمل المسلح وسيلة للتعبير عن آرائها السياسية ذات المرجعية الماركسية اللينينية.
11. أنتوني غدنز، علم الاجتماع، مصدر سابق، ص 176.
12. لقد أخذنا ملعب رادس الألبى كنموذج للتحليل و ذلك لأنه الملعب الأكثر استيعاباً للجماهير و احتضانه لأبرز مباريات البطولة التونسية و نعني بها مباراة الدربي و يتميز بشكله الدائري و منحرجاته الشمالية و الجنوبية و هي الفضاء الحيوي لأبرز مجموعات الألتراس التونسية.
13. من اللغة الايطالية و تعني مدارج المنعرجات المتواجدة خلف المرمى من الجهة الشمالية و هي المكان الخاص بجماهير الألترا للنادي الإفريقي.

14. من اللغة الإيطالية وتعني مدارج المنعرجات المتواجدة خلف المرمى من الجهة الجنوبية و هي المكان الخاص بجماهير الأتترا للترجي الرياضي التونسي.

15. Christian Bromberger, *Le match de football...*, op .cité, p 209.

16. أنتوني غدنز، علم الاجتماع، مصدر سابق، ص 76.

17. بيبورديو، السلطة والرمز، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2007، ص 50.

18. غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير، مصدر سابق، ص 56.

19. نفس المصدر السابق، ص 122.

20. مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005، ص 165.

21. <http://www.sportpsychologie.ch/downloads/ps3-violence.pdf>, Novembre 2004.

22. يونس الغاب، *النظرية الانقسامية: الأصول والمفاهيم*، <https://www.mominoun.com/articles/النظرية-الانقسامية->

الأصول - والمفاهيم - 4992 ، 24 افريل 2017.

23. مراد يبلغ من العمر 26 سنة حاصل على شهادة جامعية و بصدد البحث عن عمل وافق على إجراء المقابلة معه بعد تردد كبير لأنه كما أخبرنا لم يعد يطمئن لأي أحد خاصة إذا تعلق الأمر بطرح الأسئلة فيما يخص عالم الأتترا الذي يتعرض حسب قوله إلى محاصرة و تضيقيات أمنية كبيرة. و بعد جهد وافق على إجراء المقابلة وذلك سنة 2015.

24. اشرف يبلغ من العمر 21 سنة طالب ينحدر من أحد الأحياء الشعبية في العاصمة تونس مثله مثل أغلبية أعضاء الأتراس.

25. غوستاف لوبون، روح الجماعة، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة، 2013، ص 113.

26. Michel Maffesoli, *le temps des tribus le déclin de l'individualisme dans les sociétés de masse*, Méridiens Klincksieck, Paris, 1988.